مع كتاب "الفرج بعد الشدة" للتنوخي

للدكتور ابراهيم السامرائي

مصنف الكتاب هو التنوخي أبو علي الحسن بن علي القاضي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ ، صاحب « نشوار المحاضرة » . وكتاب « الفرج بعد الشدة » نشر غير مرة نشرات لم تنل شيئا من الضبط والعناية ، شأنه شـــــأن « النشوار » .

غير أن الأستاذ عبود الشالجي المحامي قد اضطلع بنشر « النشوار » بادىء ذي بدء ، ثم أعقبه بنشر « الفرج بعد الشدة » . وليست بي حاجة الى بيان فضل هذه النشرة المحققة ، فقد أغناها الاستاذ الشالجي بفوائد سنية ، وأخرج الكتاب بهيأة حظيت بالاحسان التام والعناية الفائقة .

وكتاب « الفرج بعد الشدة » من كتب الأدب العامة لما فيها من أدب كثير ؛ فقد اشتملت على طائفة من الشعر ، ومثلها من عيون النثر والملح والنوادر . ثم ان الكتاب مما لا يستغني عنه المؤرخ لعلاقة الأخبار والقصص المذكورة بأحداث تاريخية معروفة مشهورة . وهذا الضرب من التصنيف كثير في المكتبة العربية التي تتصل بالتراث المشترك بين الأدب والتاريخ. ولعل هذا النمط غير بعيد مما عرفناه في كتابه (نشوار المحاضرة) من حيث الجمع بين فوائد عدة .

ان موضوع « الفرج بعد الشدة » معروف من اسمه ، فهو عرض

لاحداث واخبار وقصص عرضت فيها الشدة والكرب لجماعة من الناس، ثم هيأ الله لهم فرجا قريبا خُفّف عنهم الكرب فقرّت نفوسهم .

قلت: ان الأستاذ الشالجي المحقق قد أعان الدارسين فهيأ لهم كتبا فيها جهد كبير وفوائد سنية . ولكني وددت أن اقف على اشياء يسيرة فاقول فيها ما أقول :

الجزء الأول :

١ ــ جاء في الصفحة ٦٨ قول المصنف :

« عُلِمُ ان البُشرى الأُوَّلة تمنع من ذبح اسحاق » .

عَلّق الأستاذ المحقق على قول المصنف « الأُوَّلة » فقال :

« تعبير بغدادي بمعنى الأولى ، أما التعبير البغدادي الآن فهو « الأولية او الأولانية » .

اقول : لقد وجدتُ الأستاذ المحقق يفزع كثيرا الى وصف طائفة من المواد اللغوية بقوله : « تعبير بغدادي » ؛ ولا أدري كيف استطاع ان يتوثق من عامية بغدادية في القرن الرابع الهجري ، وأين لنا من المظان التي نعرف فيها هذه الشوارد العامية التي وصفت بـ « التعابير البغدادية » ؟

اقول : كان دليل الأستاذ ما ذكره من التعبير البغدادي المعاصر « الأولية او الأولانية » ؛ ولا أرى أن في ذلك ما يعين على معرفة لسان دارج قديم ، فان لم يكن هذا فما الحاجة الى الاكثار من الوان العامية البغدادية المعاصرة في هذا الكتاب، أيكون ذلك من باب الموازنة أم يكون للفائدة التاريخية ؟

وقد وجدت أن كثيرا مما وصفه الأستاذ المحقق بقوله : « تعبير بغدادي » هو من الكلم العام الشائع الذي نجده في مصنفـــــات شامية أو مصرية أو غيرها كما سنرى .

أقول : ليس من الصحيح أن نفزع الى القول بالعامية قبل أن نتوثق مما في عربيتنا الفصيحة . جاء في ترجمة « وال » في « لسان العرب » :

وحكى ثعلب : هن الأَوَّلات دخولاً والآخرات خروجا ؛ واحدتها الأُوَّلة والآخرة . ثم قال : ليس هذا أصل الباب،وانما أصل الباب الأول والأولى كالأطول والطولى .

وجاء في ترجمة « صَمَحْمَح » في « لسان العرب » :

قال ابن جني : الحاء الأولى من « صَمَحْمَح » زائدة ، وذلك أنها فاصلة بين العينين ؛ والعينان متى اجتمعتا في كلمة واحدة مفصولا بينهما ، فلا يكون الحرف الفاصل بينهما الا زائدا،نحو عَثَوَّل وعَقَنْقَل وسُلالِم وحَنَيْفِد • وقد ثبت أن العين الأولى هي الزائدة ، فثبت أن الميم والحاء الأوليتين في « صَمَحْمَح » هما الزائدتان ، والميم والحاء الأخيرتين هما الأصليتان ؛ فاعرف ذلك .

أقول : وهذا يعني أن « الأُوَّلة » لغة فصيحة وليس تعبيرا بغداديا .

٢ ــ وجاء في الصفحة ٨٠ من قول المصنف ذكر « بختنصر » فعلق المحقق بقوله : بخت نَصَّر او نبوخذ نَصَّر ٦٠٤ ــ ٥٦١ ق. م ، ملك بابل،أغار

على مصر ، وفتح اورشليم ... ... (انظر المنجد) .

اقول: ليس من الاصالة العلمية ان يُوثَّق العَلَم التاريخي ، وهو مشهور في مظانه الموثقة ، بكتاب « المنجد » !

٣ ــ وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

« وجا بدانيال » ، فعلق الاستاذ المحقق بقوله :

« جا » اصلها « جاء » ، حذفت الهمزة على طريقة البغداديين في حذف الهمزة في آخر الكلمة ، قال الشاعر :

عُشِيَّةَ جا اهلُ العراق كانهم سحابُ خريف صفَّقَتْه الجنائبُ

(العقد الفريد ٤ / ٣٤٤)

اقول : الم يكن من الاجود والاولى ان تعاد الهمزة الى الفعل « جا » فيكون « جاء » ؛ وذلك لعلمنا الاكيد ان جمهرة النساخ في المخطوطات كلها تتخفف من رسم الهمزة في اواخر الكلمات . رايناهم يكتبون « الادبا » و « الالبّا » و « السما » و « الببغا » وكثيرا غير هذا بحذف الهمزة . ومن المعروف ان هذه من الاسماء الممدودة ، ومَدّها اكثر من قصرها ، وان كان القصر جائزا ووارداً ولا سيما في الشعر ، فاعيدت الهمزة الى هذه الكلمات عند نشر الكتب .

ثم ان حذف الهمزة الاخيرة غير خاص بالبغداديين ، فهو امر شائع في بلاد العرب عامة ، في العربية الفصيحة والالسن الدارجة قديما وحديثا ؛ وكتب القراءات وكتب الادب خير شاهد على هذا .

ثم ان استشهاد الاستاذ المحقق بالبيت دليل ضعيف ، ذلك ان الشاعر ممتحن بالوزن ، وحذف الهمزة يفي بالوزن وابقاؤها يُخِلّ به .

ولا ادري كيف جاز للمحقق ان يُعُدّ قول « الشاعر » على طريقة البغداديين وهو مجهول ؟ أليس من الجائز أن يكون اندلسيًّا او مصريًّا أو شاميًّا ؟

٣ ــ وجاء في الصفحة ٨٣ قول الأستاذ المحقق في التعليق على كلمة « الفرث » :

« الفرث السرجين ما دام في داخل الكرش » .

اقول توخى الأستاذ المحقق ان يكون عمله مفيدا غنيا بما يحتاج اليه القارىء وما قد يكون فيه غنى عنه . وما أظن أن هذه الفائدة تدخل في جملة اضافاته الممتعة .

٤ ــ وجاء في الصفحة ٨٣ حاشية طويلة استهلكت صفحة وشيئا من صفحة عن « ابي سفيان » .

اقول : « الأصل في التعليق والحواشي ان تكون مما يفيد، كان يكون التعريف برجل غير معروف لدى جمهرة القراء ، او ان اسمه من باب المشتبه، او انه عرض له تصحيف فأفسده ؛ وفي هذه الأحوال يكون عمل المحقق من الاعمال الجليلة . أما ان يكون تعريفا بعَلَم من المشاهير، كابي سفيان، فليس هذا مما يفتقر اليه الدارس الطالب للفوائد . واذا كان من تعريف لهذا المشهور، افلا كان من الحق ان يُكتَفى بالقليل، مع ذكر المصادر الضرورية المتقدمة لا المتأخرة ؟ ثم ان الأستاذ المحقق بعد هذه البسطة الطويلة عن « ابي سفيان » ترك المادة غفلا من المصادر .

٥ ــ وجاء في الصفحة ٨٥ حاشية للمحقق عن كلمة « المنافق » ذكر فيها علاقة الاسم بالنافقاء، وهي جحر اليربوع ... ...

ثم اعتمد في قوله هذا على « المنجد » ؛ الم يكن من المفيد أن يرجع الى « لسان العرب » فيجد فيه « اليربوع » و « نافقاءه » ، ثم يجد فيه معنى « المنافق » في القرآن والحديث ، كما يجد فيه انه من المصطلح الاسلامي ؟ وفي مجموع هذا فوائد لغوية وتاريخية .

٦ ــ وجاء في الصفحة ٩٢ في تعليق المحقق على « اليقطين » قوله :

اليقطين واحدته يقطينة وهو كل ما لا ساق له من النبـــــات كالقثّاء ... ...

اقول : أليس من العلم أن يرجع الى « المنجد » في مادة قديمـــة هي « اليقطين » . ومن فوائد المحقق في هذه الكلمة اشارته الى أن القرع المستطيل يسمى في بغداد الآن : « الشجر » ، وفي لبنان نوعان هما الكوسة والقرع .

اقول : وفاته أن يشير الى أن « اليقطين » بهذا اللفظ ما زال معروفا لدى القرويين في جنوب العراق ولا يعرفون غيره من الأسماء.

٧ ــ وجاء في الصفحة ٩٣ قول المصنف :

« كهيأة الفرخ الممعوط الذي ليس له ريش » .

فعلق المحقق بقوله :

الممعوط الذي سقط شعره ؛ وعامة بغداد يكنون عمن اوغل في الشر والحيلة بقولهم : « ذيب أمعط » .

اقول : لا ارى مناسبة كبيرة تستدعي أن يشار الى قولـــة البغداديين ، وان كان غير البغداديين من العراقيين وغيرهم يعرف « الأمعط » .

٨ ــ وجاء في الصفحة ٩٨ قول المصنف :

ولكن أُطْلِهِ بِغِرا ...

وعلق الأستاذ المحقق على كلمة « الغرا » فقال : مادة لاصقة، ما زال هذا اسمها في بغداد .

اقول : ان « الغرا » أو « الغراء » معروف، والاسم نفسه في كثير من بلاد العرب في عصرنا هذا .

٩ ــ وجاء في الصفحة ٩٩ قول المصنف :

قال : حدثنا أبو عبد الله احمد بن أبي دؤاد ....

اقول : ليس في العربية مادة « دأد » ؛ وعلى هذا ليس فيها « دؤاد »، بالهمز، من الأعلام ، والصواب : « دُواد » بالواو .وعرض هذا الوهم لكثير من المحققين والناشرين .

جاء في « الاشتقاق » لابن دريد ص ١٦٨ قوله في الكلام على أبي دواد الشاعر :

واشتقاق « دواد » من الدود ؛ والدوادة والدودة واحد .

اقول : ولم يرد هذا الاشتقاق في « اللسان »؛ فقد جاء فيه في ترجمة « دود » :

قال ابن الأعرابي : الدوادي مأخوذ من الدواد، وهو الخُضْف الذي يخرج من الانسان ، وبه كني أبو دواد الايادي .

وليس شيئا اختلاف الاشتقاق بين ما ورد في كتاب الاشتقاق لابن دريد ، وبين ما ورد في « اللسان » ، ذلك أن الذي يهمنا هو

الاصل الواويّ لا المهموز .

١٠ ــ وجاء في الصفحة ١٠٠ قول المصنف :

« ان قوما ركبوا البحر ... ... فقام رجل من اهل المركب ».

فعلّق المحقق الفاضل على كلمة « المركب » فقال :

المركب واحد المراكب البحرية والبرية . وفي بغداد تعني الكلمة المركب البحري اي السفينة .

اقول : والذي وعيته من أيام الصبا ان « المركب » في العراق للسفينة النهرية كثيرا ، كما هي للسفينة البحرية .

١١ ــ وجاء في الصفحة ١٠٣ قول المصنف :

فجعلت بين يدي نُفّاطة ...

فعلق الأستاذ المحقق على « النفاطة » فقال :

النفط دهن معدني سريع الاحتراق توقد به النار ويُتَداوى به..

اقول : ما اغنانا عن هذه الحاشية المستقاة من « المنجد » الذي ما اظنه « منجدا » في هذه الكلمة .

ثم تحدث الأستاذ المحقق عن التداوي بالنفط،وكيف تُطلَى به الإبل الجُرْب،مستفيدا ذلك من « لسان العرب » . ولم يكتف بهذا بل رجع الى « قانون » ابن سينا ، و « مفردات » ابن البيطار في هـذا الموضوع .

وما اظن ان الامر محتاج الى هذا،لا سيما اذا عرفنا ان«النفط » لم يرد في النص،بل وردت « النفّاطة » وهي سراج يستضاء به .

اقول : كان على الأستاذ المحقق ان يشرح « النفاطة » ويشير

كعادته الى « النفطية »وهي الاسم المتداول في عصرنا ببغداد وغيرها من الحواضر :

ولم يكتف الأستاذ المحقق بهذا بل عرض للنَّفَّاطة وهي من أدوات الحرب؛واشار الى استعمال الرشيد للنفاطة في حربه مع الروم . وزاد فذكر أن « النفاطة »:الموضع الذي يُسْتَخْرَج منه النفط .

اقول : لقد اشرت في « المقدمة » الى جهد المحقق باغناء الكتاب بالفوائد الكثيرة .

١٢ ــ وجاء في الصفحة ١٠٤ قول المصنف :

« ثم انتبهت فاذا انا بمشعل قد اقبل من بعيد » .

فعلق الأستاذ المحقق تعليقا طويلا على كلمة « المشعل »، واستعمال البغداديين للمشاعل،وهيأته وما يوضع فيه من المواد للاشتعال في رءوسه .

اقول : وما اظن هذا الوصف مفيدا لغير العراقي ولا اخص « البغدادي » وحده ؛ وذلك لأنه لا يعرفه ولا يستطيع تصوره . والمشاعل اعمدة يمتد على احد راسيها اعمدة اخرى بهيأة عمودية، فيها رءوس تحشى بالخيش وتشعل بعد غطسها بالنفط،وتستعمل في مواكب التأبين بذكرى مقتل الامام الحسين،عليه السلام،في ايام المحرم العشرة الأولى .

وافاد الأستاذ المحقق أن « المشعل » من أعلام الذكور ؛ ويصفون الجميل الوجه بأنه « مشعل » .

وقد افاض في هذا التعليق فذكر زجلا عاميا فيه كلمة المشاعل،

وهذا كثير لعله يفتقر الى المناسبة وقيمتها . وفي الزجل كلمة « اللالات » ، وهي عامية عراقية لنوع من المصابيح شرحها المحقق شرحا تاما .

١٣ ــ وجاء في الصفحة ١١١ ذكرُ ابي الحجاج مجاهد بن جبر، فعلق الاستاذ المحقق بقوله :

ترجم له صاحب « الخلاصة » ص ٣١٥ ، وصاحب ميزان الاعتدال ٣/٤٣٩ .

اقول : وكان من المفيد أن يشار الى المصادر الاخرى ؛ أما كان من المفيد أن يستأنس بالمصادر التي اثبتها الزركلي في « الاعلام »، وفيها سِيَر « اعلام النبلاء » و « غاية النهاية » و « الارشاد » وغيرها ؟

١٤ ــ وجاء في الصفحة ١١٠ تعليق للمحقق على أبي الاحوص عوف بن مالك بن نضلة الجشمي، قال فيه :

تُرجِم له صاحب الخلاصة وقال : انه قُتِل ايام الحجاج .

اقول : وفي تاريخ بغداد ١٢ / ٢٩٠ ترجمة مفيدة لأبي الاحوص هذا .

١٥ ــ وجاء في الصفحة ١٦٩ تعليق طويل على « عبد الله بن الزبير » من دون ذكر أي مصدر .

اقول : ولا اريد هذا وحده، ولكني اقول اننا في غنى عن التعليق على الاعلام المشهورة كابن الزبير هذا ، ومثل هذا ما ورد من ترجمة معز الدولة بن بويه صاحب العراق، في الصفحة ٩٤ ، ومثل

هذه التراجم للأعلام المشهور قدر عظيم في « الفرج بعد الشدة » .

١٦ ــ وجاء في الصفحة ١٧٦ تعليق الاستاذ المحقق على قوله تعالى « فان مع العُسر يُسرًا » .

قال الأستاذ المحقق : اليُسر اللين والانقياد ؛ واستشهد بقول الشاعر :

قوم اذا شوَّسوا جَدَّ الشماس بهم ذاتِ العناد وان ياسرتهم يَسروا

ثم قال :

والعسر الضيق والشدة ؛ قال الشاعر :

... ...

اقول : ما اظن ان اليسر والعسر من الكلم اللغوي الذي لا يعرفه القارىء العام بله الخاص . ان الآية الكريمة من الآيات التي يستشهد بها ، وقد ترد في كلام العامة فهي مما يعرفون ويرددون .

١٧ ــ ومثل هذا الشرح للكلم المعروف تعليق المحقق على « البُرَد » وشرحه في الصفحة ١٨٠ وهو مما يعرفه عامة القراء .

اقول : كأن الاستاذ المحقق حين شرح « البُرَد » اراد ان يقول لنا ان « البغداديين يسمونه الحالوب » فاذا اصيب الزرع بالبرد قالوا : تحولب فهو محولب .

وهذه اضافة مفيدة لولا تخصيصها بالبغداديين ، وذلك لأن عامة العراقيين يعرفون هذا .

١٨ ــ وعلق المحقق في الصفحة ١٨٣ على « الجبل » فقال :

اسم شامل لاقليم عراق العجم ... ... (المشترك صقعا

لياقوت ص ٩٥) .

واضاف : ادركت الناس ببغداد وهم اذا ذكروا الجبل فهم يريدون جبل بشت كوه في بلاد ايران ... ...

اقول : وليس من صلة بين اقليم الجبل في كتب البلدان القديمة وبين المتعارف في العراق عن « الجبل » الا من باب « الشيء بالشيء يذكر » !

١٩ ــ وجاء في الصفحة ١٩٠ كلام على الحجاج من زيادات الأستاذ المحقق استوفت ثلاث صفحات،وقد ضُمّت الى مادة الكتاب دون الاشارة الى انها تعليق المحقق .

اقول : وليس هذا مقبولا ؛ والصحيح أن يشار الى ان هذا من كلام الأستاذ المحقق،وهو حاشية وتعليق،لا أن يُضَمّ الى مادة الكتاب .

ثم ان ثلاث الصفحات كثير في حاشية أو تعليق ، وهي تشتمل على اخبار الحجاج وظلمه بداها بقوله :

وبلغ من شنيع سمعة الحجاج وشهرته بالظلم ... ...

اقول : وستأتي حواشٍ اخرى تعليقا على الحجاج يؤلف مجموعها صفحات عدة،وكلها مُقحَم على نص الكتاب من غير اشارة الى انها تعليقات .

٢٠ ــ وجاء في الصفحة ٢٠٣ قول المصنف :

« اتعلّمتَ السِحر ؟ »

فراح الأستاذ المحقق يتحدث عن « السحر » في « لسان

العرب » وفي آي القرآن الكريم ، وما ورد في « الفهرست » لابن النديم في المقالة الثامنة عن المعزمين والمشعبذين والسحرة ... ... ثم قال : انظر دائرة المعارف الاسلامية .

اقول : ما اظن أن كلام المصنف محتاج الى هذا العرض الوافي عن « السحر » .

٢١ ـ وجاء في الصفحة ٢٠٤ كلام طويل مُقحَم على نص الكتاب على « عبد الملك بن مروان » دون اشارة الى أن ذلك تعليق . ثم ان عبد الملك بن مروان من المشاهير الكبار ؛ فهل من حاجة الى هذا التعليق الطويل ؟

٢٢ ـ وجاء في الصفحة ٢٠٥ قول المصنف :

وقد رأيته نُقِشَ ذلك على خاتمه ... ...

فعلق المحقق فقال : الختم في اللغة السد والاغلاق ، وقوله تعالى : « ختم الله على قلوبهم »

ثم صرفت الى نهاية الشيء ، وكقولنا خاتم النبيين .

ثم تكلم المحقق على الطين الذي يُسَدّ به المزود او الكتاب عند الانتهاء منه ، ثم صرفت الى الطبعة .... ثم الى النص الذي يطبع به الطين ؛ ثم ... ثم ...

اقول : ان هذه من الفوائد،وفيها لون حضاري؛ولكن هذا كله يتجاوز التحقيق لنص من النصوص .

٢٣ ـ وجاء في الصفحة ٢١٠ تعليق المحقق على « بنت وردان » فذكر انها دويبّة كريهة الرائحة ... ...

ثم قال : تسمى الآن ببغداد « مردانة » وجمعها « مردان » ثم استشهد ببيت شعر .

اقول : وليس هذا كله من هَمّ المحقق فهو معروف .

٢٤ ــ وجاء في الصفحة ٢١٣ قول المصنف :

« ورجوت أن نعاونه بأموالنا وجاهنا ليُمَشّي أَمْرَه » .

اقول : ومن المفيد أن نعلق على قول المصنف « يمشّي أمره » ، وهو من الأساليب العامية التي ما زلنا نتداولها في لغتنا الدارجة في العراق في الاقل . ولم يشر المحقق الفاضل الى ذلك على شدة اهتمامه بالكلم العامي الذي وصفه بـ « البغدادي » .

٢٥ ــ وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

« واخذ خطّي بالمال على نجومه » .

وقد علق الاستاذ المحقق بقوله : « نجم الدين : اداه نجوما اي اقساطا في اوقات معينة » .

اقول : ومن المفيد ان يشار الى أنّ هذا من المولّدات العباسية في الاقل ؛ وفي ذلك فائدة تاريخية .

٢٦ ــ وجاء في الصفحة ٢١٥ قول المصنف :

« ورد كتاب عامل مصر » .

وعلق المحقق بقوله : « العامل:الموظف المالي الذي يناط به جمع الارتفاعات وما يقتضي صرفه . »

اقول : وليس في النص ما يدعو الى أن يكون « العامل » بهذه الحدود وهذا الاستعمال،وذلك لأن « العامل » بمعناه المشهور كما

يبدو لي هو الوالي أو الحاكم أو الامير القائم في البلد .

٢٧ — وجاء في الصفحة ٢١٥ قول المصنف :

« ورد كتاب عامل مصر بمبلغ مال مصر لهذه السنة مجملا في مبلغ الحمل والنفقات » .

وقد علق الأستاذ المحقق بقوله :

اي المال الذي يحمله العامل الى الحضرة خالصا بعد سداد النفقات .

اقول : وهذا من فوائد الأستاذ المحقق السنية في عمله المفيد .

٢٨ — وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

« فوقّع الى ديواني باخراج العبرة لمصر » .

قال المحقق : العِبرة : ثبت ارتفاعات الكورة « اي الواردات» . وعبرة سائر الارتفاعات :المعدل الوسط بين اعلى الارتفاعات وادناها .

اقول : وهذا من الفوائد الكبيرة في شرح هذه الكلمات الاصطلاحية من الالفاظ العباسية الخاصة . ولكني اتساءل : لِمَ لَمْ يوثّق الأستاذ المحقق هذه الفوائد بعض التوثيق ؟

٢٩ — وجاء في الصفحة ٢١٧ تعليق المصنف على « المتوكل » الخليفة العباسي .

اقول : و « المتوكل » غني عن التعليق،شانه شأن المشاهير؛ واذا كان من تعليق فهو شيء موجز كل الايجاز،لا ثلاث صفحات كاملة من غير مصدر ؛ ثم تضاف الى مادة الكتاب ولا يشعر القارىء

ان الكلام مقحم على النص ، وهو من اضافات المحقق .

٣٠ ــ وجاء في الصفحة ٢٢٠ حاشية المحقق على كلمة « الديوان » ، وأنه في الأصل جريدة الحساب ، ثم ...

والكلام مقتبس من « المنجد » وزاد عليه بما يقرب من صفحتين .

قلت غير مرة أن هذه الاضافة غير ذات قيمة كبيرة لتجاوزها المظان المعتمدة .

٣١ ــ وجاء في الصفحة ٢٢٩ تعليق على كلمة « الدهليز » فقال :

الممر الذي بين باب الدار ووسطها ، ويسمى ببغداد الآن المجاز .

اقول : كان الأستاذ المحقق اراد أن يعرف بالكلمة العراقية المعاصرة .

٣٢ ــ وجاء في الصفحة ٢٤٥ تعليق طويل على « الحُرّ » و « الحُرّة » ، ودلالة الحرية وشرح الأئمة والهجين ونحوهما . وهذا التعليق مضاف الى مادة الكتاب من غير اشارة الى أنه من اضافات المحقق .

٣٣ ــ وجاء في الصفحة ٢٥٢ شرح لكلمة « الطغيان » بأنه الاسراف في الظلم .

اقول : وهل من حاجة الى هذا الشرح ؟

٣٤ ــ وجاء في الصفحة ٢٦٩ حاشية استغرقت صفحة كامل عن « زياد بن ابيه » وقد اضيفت الى مادة الكتاب من غير اشارة الى انها من صنيع المحقق واضافاته .

٣٥ ــ وجاء في الصفحة ٢٨٠قول المصنف :

« محمد بن القاسم ظلمني » .

وقد علق الأستاذ المحقق على ذلك بكلام على «الظلم» استوفى صفحة كاملة ، واضيف الى مادة الكتاب من غير اشعار بانه من كلام المحقق .

اقول : كأن المحقق الفاضل يتصيَّد اقل صلة ليتكلم في مسائل كثيرة تتجاوز العلاقة أو المناسبة،فيذهب بعيدا كل البعد عـــــــن الموضوع .

٣٦ ــ وجاء في الصفحة ٢٨١ قول المصنف :

« لما خرج طاهر بن الحسين الى محاربة علي عيسى بن ماهان، جعل ذات يوم في كُمِّه دراهم » . فعلق المحقق الفاضل على « الكُمّ » تعليقا طويلا ذكر فيه القميص والثوب والجيب و « العُبّ،من العامية العراقية » ، كما ذكر ترنيمة يُتَرَنَّم بها للأطفال لتنويمهم من الشعر العامي من جملة أبياتها :

هَسَّه بِجينا بابَـــهْ شايِل تمر بأعبابَـهْ

وينصرف الأستاذ المحقق الى شرح كلمة « هَسَّه » العاميـــة ، وشرح كلمة « شايِل » ؛ فأين هذا من النص ، وما علاقة « الكُـمّ » بكل هذا ؟

٣٧ ــ وجاء في الصفحة ٢٩٩ حواشي لشرح كلمات هي:البرذون،والسرج، واللجام،والطيلسان،والقميص،والشاشية .

اقول : وليس في هذه المواد ما يدعو الى الشرح والتعليق،فامرها

معروف للخاصة والعامة .

٣٨ ــ وجاءفي الصفحة ٣٠٢ تعليق الأستاذ المحقق على « صاحب البريد » استوفى صفحتين ضُمّتا الى النص دون أن يكون فيهما ما يشعر بأنهما من كلام المحقق لا المصنف .

اقول : وهذا النمط من التعليقات يتجاوز حد التحقيق ؛ ولو رغب المحقق في أن يأتي بهذه الفوائد التي أدركها في قراءاته لكان أولى له أن يفرد لها مصنّفا خاصا يُضمّ فيه هذه النماذج الحضارية والتاريخية واللغوية وغيرها . وان شيئا منها ، من غير شك ، الصق بمادة « الكنايات الشعبية » التي أفرد لها المحقق كتابا وُسِم بـ « الكنايات البغدادية » .

٣٩ ــ وجاء في الصفحة ٣٠٥ تعليق المحقق على كلمة « المال » التي وردت في كلام للمصنف .

لقد أتى المحقق بما ورد في « لسان العرب » عن « المال » ، وما جاء في كتاب « التلخيص » لأبي هلال العسكري عن المال ، ودلالته على الابل والغنم وغيرها من الماشية .

غير أن المحقق لم يكتف بهذا فقال :

اما في بغداد وما يجاورها فان كلمة « المال » تقوم مقام كلمة « الهن » ؛ اي انها كناية عن عضو التناسل سواء عند المرأة والرجل او الحيوان . ثم ذكر قول احد الشعراء العراقيين وزاد قول احد شعراء الحلّة .

اقول : ولا ارى فيّ حاجة ان اذكر قول احد الشعراء العراقيين ولا الشاعر الحلي فأسيء اليهما ، ولكني اقول : انهما كنيا عن

« المتاع » بشيء آخر هو « مال »، وليس « المال »، اجتنابا لذكر السواة .

قلت : « مال » وليس « المال » وأريد بذلك أن « مال » هذه بغير الألف واللام هي شيء ينطوي فيه قولنا : « ماله » و « مالنا » و « مالكم » و « ما لهن » الى آخره ثم اجتُزِئَ من ذلك بلفظ « مال » على طريقة الضم أو النحت والخرم للضمير، فكانت الكلمة « مال » ؛ وهي غير « المال » المعرفة التي تعني ما تعنيه من الدلالة على الابل والغنم وسواهما .

٤٠ ــ وجاء في الصفحة ٣٥٦ قول المصنف :

« أخبرنا ابو الفرج الاصبهاني عن المدائني » .

فعلق المحقق على « المدائني » فقال : نسبة الى « المدائن » ؛ ورَحَل يتكلم على المدائن وفيها ايوان كسرى، وقرب الايوان قبر سلمان الفارسي الملقب بـ « پاك » أي الطاهر ، ومن ذلك « پاكستان » البلاد المعروفة ؛ ثم ذكر كيف يجتمع العراقيون البغداديون في المدائن للنزهة .

أقول : أليس هذا كله من التجاوز على عمل المحقق !

٤١ ــ وجاء في ٣٦١ تعريف بالجاحظ ذَكَرَه المحقق ؟

أقول : ان أبا عثمان اشهر من أن يعرَّف به في حاشية من حواشي كتاب « الفرج بعد الشدة » .

٤٢ ــ وجاء في الصفحة ٣٦٦ كلام طويل اضيف الى النص دون اية اشارة، على جعفر البرمكي . وهذا على شاكلة ما صنع المحقق في جملة اعلام ومواد اخرى .

٤٣ ــ ونختتم الجزء الاول فنرى في الصفحة ٤٠٠ تعليقا طويلا في قسوة الحجاج وظلمه ضُمَّ الى مادة الكتاب .

الجزء الثاني :

٤٤ ــ وجاء في الصفحة ٢٧ قول المصنف :

« فأُحضِرَتْ وشُلِّحَتْ للضرب » .

فعلق الاستاذ المحقق على « التشليح » وقال : انه التعرية ؛ ثم أتى كعادته فأشار الى دلالة التشليح عند البغداديين، وهو « انكشاف العورة » (كذا) ؛ والتعرية عندهم « التصليخ » وهو مصلَّخ اي عارٍ .

اقول : ولا ارى من داع الى هذا الاسهاب في هذا الضرب من الادب العامي .

٤٥ ــ وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

« فان كانت الرفيعة صحيحة فليس يفوتك عقابه » .

فعلق المحقق بقوله : « الرفيعة ما يُرْفَع على الانسان من التهم » .

اقول : وهذه فائدة جليلة تدخل في باب المُحْدَثات العباسية في اللغة .

٤٦ ــ وجاء في الصفحة٢٨ قول المصنف :

« وجدت المستَحَمَّ ضيقا غير نظيف » .

اقول : لقد اشار المحقق الى ان المراد بـ « المستحم » المرحاض،

وهذا نظير قولهم : بيت الادب، وبيت الراحة، والمستراح، كناية عن بيت « المرحاض » .

٤٧ ــ وجاء في الصفحة ٤٦ قول المصنف :

« والبسني جبة صوف قد نُقِعت بماء الاكارع » .

اقول : وقد علق الاستاذ المحقق في الصفحة ٥٠ تعليقا طويلا على « ماء الاكارع »، واضيف التعليق الى النص كانه جزء منه ، ذكر فيه شيئا عن « الكرع » وجمعه كوارع على لغة المصريين ، وتسمى « الاكلة » في الشام (كذا) وفي لبنان (كذا) وفي بغداد (كذا) وما يتصل بذلك في بغداد المعاصرة .

اقول : وفي هذا بعض الفائدة وان تجاوز حد التحقيق .

٤٨ ــ وجاء في الصفحة ٤٧ قول المصنف :

كتبت الى بعض عمال المشرق بمطالبته باموالـه وودائعه، فكتب الي بالطاطة، فكتبت اليه بان يُغَلّ . . .

اقول : ولم يعلق المحقق على قوله : بالطاطة . والإلطاط الستر والاخفاء، فكانه اراد ان يقول : انه انكر الاموال والودائع .

٤٩ ــ وجاء في الصفحة ٤٨ قول المصنف :

« ولم يبرح حتى امروا باخذ حديدي وادخالي الحمام وأُخْذِ شعري » .

اقول : اردت ان انبه على قوله « اخذ شعري » وهذا من معاني الاخذ التي جُدَّت ، والمراد به قص الشعر .

٥٠ ــ وجاء في الصفحة ٥٣ « دار مؤنس »، وهو مؤنس المظفر، من القواد

الاتراك في الدولة العباسية .

لقد علق الاستاذ المحقق على « دار مؤنس » تعليقا استوفى صفحتين ضمهماالى نص الكتاب من غير اشارة الى صنيعه هذا . كما اشار الى موقع الدار المذكورة واين مكانها في بغداد الحديثة ، وهو سوق « اليمنجية » . ثم تكلم على ما يسمى في العراق الآن « يمني » وهو ضرب من الاحذية خاص لونه أحمر وله مقدم متجه الى الاعلى ؛ ولا ادري لم سمي « يمني »،ذلك اننا لا نعرف انه مستورد من اليمن مثلا ، أو أن جِلْدَه من اليمن !

اقول : الا ترى معي،ايها القارىء ، أن المحقق قد ابتعد في هذا الاستطراد عن مادته ؟

٥١ ــ وجاء في الصفحة ٦٤ قول المصنف :

« فمن اين انفق الاموال واقيم الانزال » .

اقول : الأُنزال جمع « نُزُل » بفتحتين وهو الارزاق والاعطية . وهذا من مولَّدات العصر العباسي .

٥٢ ــ وجاء في الصفحة ٨٠ قول المصنف :

« وخرج وصرف التوكيل عني » .

لقد اشار الاستاذ المحقق الى التوكيل وافاد انه مصطلح عباسي يراد به حجز الحرية ؛ فيقال : وكِّل به اذا نصب عليه حارسا يحول بينه وبين الفرار .

٥٣ ــ وجاء في الصفحة ٨١ قول المصنف :

« .... الى أن ازيح علة قائد يصحبك الى الرملة » .

وقد علق الأستاذ المحقق على « ازاحة العلة » قائلا : انـــه مصطلح عباسي يعني القيام بجميع ما يحتاج اليه من يراد ازاحـــة علته ، فالجيش مثلا يعتبر « مُزَاحَ العلّة » اذا كان أفراده قد أُعطُوا أرزاقهم وسُدَّت نفقاتهم ... ...

أقول : وهذا من المواد المفيدة،ذلك أنها تكشف عن العربيـــة الخاصة وكيف جدّ فيها من مقتضيات العصر ما أضاف اليها كَلِمـــًا فنيا .

٥٤ ــ وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

« وقد حططت من الارتفاع وزدت في النفقات » .

« الارتفاع » كما يُستَقرَى من مادة الكتاب هو « الوارد » في لغتنا المعاصرة ؛ وقد أشار الأستاذ المحقق الى ذلك .

٥٥ ــ وجاء في الصفحة ٨٣ تعليق طويل على « الفرش » ، ذكر فيه الأستاذ المحقق أنواع المفروشات قديما وحديثا،كالطنافس والزرابي وما هو معروف منه في العراق في عصرنا بأسمائه المحلية الدارجة .

٥٦ ــ وجاء في الصفحة ٨٦ قول الأستاذ المحقق على كلمة « ايش » فقال:

هي « أي شيء » اختصرها البغداديون الى « ايش » .

أقول : ان « ايش » بمعنى « أي شيء » قديمة،وقد وردت في تاريخ الطبري في أخبار قديمة تسبق تمصير بغداد . وقد أشـــار الحريري في « درة الغواص » الى أنها عامية ؛ وكذلك فعل الخفاجي في « شفاء الغليل »،ولم يخصص أي منهما أنها بغدادية .

٥٧ ــ وجاء في الصفحة ٨٨ قول المصنف :

« ... فدقّ الباب فكلّمه من خَوخة » .

وقد علق الأستاذ المحقق على كلمة « خوخة » فقال :

الخوخة الباب الصغير يفتح في الباب الكبير .

اقول : قد تكون « الخوخة » بهذا المعنى وان كان الدليل غير واضح من النص ؛ ولكني اعرف الخوخة في كتب اللغة : انها كوة في البيت تؤدي اليه الضوء .

٥٨ ــ وجاء في الصفحة ٩٠ قول المصنف :

« ... فارمي اليه من رُوْزَنة لي ... » .

وقد علق الأستاذ المحقق على كلمة « روزنة » فقال : هي الرازونة عند البغداديين ، وهي روشن ... يريدون به تجويفا غير نافذ توضع فيه الحاجيات .

اقول : والصواب توضع فيه الحاجات؛وليس في العربية الفصيحة « حاجيات »،على شيوعها في اللغة المعاصرة .

٥٩ ــ وجاء في الصفحة ٩٩ قول المصنف :

« ... وينشوان في دولتك ... » .

وقد علق الأستاذ المحقق على الفعل « ينشوان » فقال : انها لغة بغدادية،وقد درج البغداديون منذ القديم وما زالوا الى الآن على حذف الهمزة اذا كانت في آخر الكلمة ، وابدالها واوا أو ياء اذا كانت في وسطها ...

وقد مثل لذلك فجاء بـ : رياسة، وجيسة وصايم ... وحسن النشوة .

أقول : لقد قلت في حذف الهمزة الاخيرة وجوازها لغة وضرورة في العربية الفصيحة ، كما قلت في تسهيل الهمزة الى الواو والياء والالف .

ولكني أقول الآن واضيف : انه ربما كانت الكلمة « ينشوان » في نص الكتاب عامية بغدادية او غير بغدادية لأن ذلك امر شائع ، بل أقول : ان في العربية الفصيحة « ينشوان » ايضا .

جاء في كتب اللغة :

نشوت في بني فلان : ربيت ، نادر ؛ وهو محوّل من « نشأت »

وقال قطرب : نشا ينشو لغة في نشأ ينشأ ، وليس عنده على التحويل .

٦٠ ــ وجاء في ١٠٢ تعليق طويل استوفى صفحتين اضيف الى مادة الكتاب من غير اشارة ، على عبيد الله بن زياد .

٦١ ــ وجاء في الصفحة ١٤٦ كلام طويل على سياسة الحجاج المخربة ، استوفى ثلاث صفحات وضُمّ الى الكتاب .

٦٢ ــ وجاء في الصفحة ١٤٩ قول المصنف :

« ... حدثني ابو علي الوكيل على ابواب القضاة ببغداد » .

اشار المحقق الى ان الوكيل هو المحامي في مصطلح هذا العصر .

٦٣ ــ وجاء في الصفحة ١٦٠ قول المصنف :

« ... وقعت على سترة الحجاج ... » .

وقد علق الأستاذ المحقق على كلمة « سترة » وأفاد أنها ما استمر من الجدار الخارجي الى فوق سطح الدار ، وهو ما يسمى الآن « ستارة » في بغداد ؛ وأشار الى حادثة معاصرة استُعمِل فيها طابوق الستار في خصومة بين طرفين ، سلاحا يتراشقون به .

٦٤ ــ وجاء في الصفحة ١٦٨ قول المصنف :

... وشاع في اليمن ... » .

وانطلق الأستاذ المحقق يتكلم على اليمن والشآم واليمين والشمال كلاما طويلا .

٦٥ ــ وجاء في الصفحة ١٨٣ ذكر « الكوز » ، فراح الأستاذ المحقق يشرح الكوز والكيزان وأنواعها ، وما استجدّ من صناعتها ، وقد أضيف كلّه الى مادة الكتاب .

ومثل هذه التعليقات الطويلة تعليق على السُّكُر ، وآخر على النبيذ ، وآخر عن يزيد بن معاوية .

٦٦ ــ وجاء في الصفحة ٣٢٣ ذكر « المسبحة » ، فأطال الأستاذ المحقق في الكلام عليها ، وان في مدينة الحلة في العراق تصنع «مسبحة الباقلاء» وليس هذا الا من باب ما يتندر به على أهل الحلة لشغفهم بالباقلاء زراعة وأكلاً لها .

الجزء الثالث :

٦٧ ــ وجاء في الصفحة١٠٧ تعليق على « الحمار » استوفى عشر صفحات . كما ورد تعليق طويل على البرامكة .

٦٨ ــ وجاء في الصفحة ٣٦٤ تعليق على مادة العذاب استوفى أربع

صفحات .

كلمة ختام :

لقد اشرت الى هذه المسائل،ولكني اعترف ان اخراج الكتـــاب وتحقيقه حظي بالعناية الكبيرة،فجاء مصدرا يُعْتَمد عليـــــه في ضبط النص واحكامه مع الفوائد التي وشّي بها .

الدكتور ابرهيم السامرائي

●✱✱●